تدبر القرآن الكريم

وصناعة الشخصية المسلمة

الدكتور / سعيد بن راشد الصوافي

جامعة السلطان قابوس

هاتف : ٠٠٩٦٨٩٩٣٤٧٨٨٢

بريد الكتروني :

alsuwafi@squ.edu.om

swafi2013@gmail.com

الملخص

أراد الله سبحانه وتعالى للشخصية الإسلامية أن تكون شخصية متميّزة بفكرها وعقيدتها وسلوكها وعملها، لذا أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بدستور حوى كل ما تحتاجه هذه الشخصية من مقوّمات الشخصية السويّة، وما عليها إلا أن تنتفع بما حواه القرآن الكريم من هدى بديع، وتشريع محكم، وهذا يتأتى لو أن الفرد المسلم تدبر آيات القرآن الكريم، وفهمها فهماً واعياً، وقصد إلى ترجمتها في واقع حياته .

إن تدبر القرآن الكريم كفيل بأن يجعل من الشخصية الإسلامية شخصية متميزة في مختلف مجالات الحياة؛ لأنه يربط هذه الشخصية في تفكيرها وسلوكها وعملها بخالق هذا الكون ومدبره، وهو الله سبحانه وتعالى، بعيداً عن الأوهام والخرافات .

هذه الورقة البحثية تتناول أثر تدبر القرآن الكريم في صناعة الشخصية المسلمة، وقد جاءت في ثلاثة محاور:

المحور الأول: أثر تدبر القرآن الكريم على تقوية الصلة بالله تعالى والإيمان به .

المحور الثاني: أثر تدبر القرآن الكريم على السلوك والمراقبة الدائمة لله والخشية منه.

المحور الثالث: أثر تدبر القرآن الكريم على الاستقلالية، والاعتزاز بالمبادئ والقيم، والعمل بما جاء به القرآن الكريم من تشريعات، وتطبيقها في الحياة .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم هداية للناس، ومنهجاً للحياة، والصلاة والسلام على النعمة المهداة، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه، مصابيح الدجى، وعلى من تبعهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، { **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً** } النساء: ٨٧)، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قال في وصف كتاب الله عز وجل (كتاب الله؛ فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)[1] . لذلك أمرنا الله تبارك وتعالى بتلاوته، وتدبّر معانيه، وفهم مقاصده، والعمل بأحكامه، وبذلك كان القرآن الكريم أنفس ما توجّه إليه النظرات، وتنفق فيه الأوقات، وتُفنى فيه الأعمار، وتُعدّ حوله الدراسات، فالحياة في ظلال القرآن نعمة، لا يعرفها إلا من ذاق حلاوتها؛ ففيها بركة للعمر، وتزكية للنفس، ورفع للمنزلة.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وكرّمه على سائر المخلوقات { **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** } (التين: ٤) ، واستخلفه في أرضه { **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** } (البقرة: ٣٠) ، وحدّد الهدف من خلقه { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** } (الذاريات: ٥٦) ، وجعل له منهجاً يسير عليه في هذه الحياة، وهو شرعه القويم، الذي أنزله في كتابه الكريم، وألزمه اتباعه، والسير على نهجه؛ فمن اتبع هداه فقد سار على الصراط المستقيم، والدرب القويم، ومن ابتغى الهدي في غيره، حاد عن المنهج الذي رسمه الله له، وشطّ عن جادة الصواب.

وقد مكث الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . زهاء ثلاث وعشرين سنة يصوغ الشخصية المسلمة، وفق منهج الله تعالى، صادعاً بأمر تبليغ رسالة ربه، فأخرج جيلاً تمثل الشخصية الإسلامية الحقيقية، التي قامت على قاعدة الإيمان الراسخ، والتوحيد الخالص، والتعاون المثمر، فحق لها أن تكون

---

١ . رواه الترمذي وغيره ، وقال عنه الترمذي : " هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول . وفى الحارث مقال " . يُنظر : الترمذي ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، موقع وزارة الأوقاف المصرية http://www.islamic-council.com ، رقم الحديث (٣١٥٣) باب : ما جاء في فضل الثرآن ، ج ١١ ، ص ٩٣ . قال الخليلي : " ومهما قيل في إسناد الحديث ؛ فإن البريق الذي يلمع من عباراته دليل على تألقه من مشكاة النبوة " . أحمد بن حمد ، جواهر التفسير ، مكتبة الاستقامة . مسقط ، ط ١ ، ١٩٨٤ م ، ج ١ ، ص ٤ .

خير أمة، بما حملت من خصائص، وتحلّت من صفات، وحق لها وصف الله تعالى وتزكيته من فوق سبع سماوات { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** } (آل عمران: ١١٠) .

وقد أنزل الله سبحانه القرآن العظيم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون هداية للناس، ونبراساً لهم، يسيرون على نهجه، ويتبعون سبيله، فقد جاء من عند الله لينير بصيرتهم، وينوّر أبصارهم وقلوبهم، ويرشدهم إلى مسالك الخير، قال تعالى { **قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** } (المائدة: ١٥ ـ ١٦)، وقد حوى هذا الكتاب كل شيء يحتاجه الإنسان في حياته { **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** } (النحل: ٨٩)، ولم يترك هذا الكتاب واردة ولا شاردة يحتاجها الإنسان إلا وهي موجودة فيه { **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ** } (الأنعام: ٣٨)، ولذلك على الإنسان أن يتمعّن فيه ويتدبّره، وقد أمر الله سبحانه نبيّه بذلك حيث قال { **وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً** } (الإسراء: ١٠٦)، وقال { **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** } (المزمل: ٤) أي: اقرأه بتثبت وتؤدة وتمهل؛ ليكون عوناً لك على فهم القرآن وتدبره .

إن هذه الدراسة الموسومة بـ (**تدبر القرآن الكريم وصناعة الشخصية المسلمة**) تهدف إلى بيان أثر تدبّر القرآن الكريم في صياغة الشخصية المسلمة، التي تسير وفق منهج الله، المستمد من القرآن الكريم، وقد تمثلّت هذه الورقة في الآتي:

ـ مقدمة: شملت نبذة عن الموضوع، والخطة، والمنهجية المتبعة.

ـ مفاهيم ذات الصلة بالموضوع: وهو بيان لدلالة عنوان الدراسة (مفهوم التدبّر، ووروده في القرآن الكريم ـ مفهوم الشخصية المسلمة).

ـ المحور الأول: أثر تدبر القرآن الكريم على تقوية الصلة بالله تعالى والإيمان به .

ـ المحور الثاني: أثر تدبر القرآن الكريم على السلوك والمراقبة الدائمة لله والخشية منه .

ـ المحور الثالث: أثر تدبر القرآن الكريم على الاستقلالية، والاعتزاز بالمبادئ والقيم، والعمل بما جاء به القرآن الكريم من تشريعات، وتطبيقها في الحياة .

ـ ثم الخاتمة: حملت أهم نتائج البحث والتوصيات

المفاهيم ذات الصلة بالموضوع

١ . تدبر القرآن الكريم:

التدبّر مصدر الفعل (تدبَّر) وهو في اللغة : التفكّر في الشيء والنظر فيه بإمعان؛ لمعرفة ما يؤول إليه معناه، قال في لسان العرب: " ودَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره نظر في عاقبته، واسْتَدْبَرَه رأَى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً أَي بأَخَرَةٍ، قال جرير: ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتى يُصِيبَكُمْ ولا تَعْرِفُونَ الأَمرَ إِلا تَدَبُّرَا، والتَّدْبِيرُ في الأَمر أَن تنظر إِلى ما تَؤُول إِليه عاقبته، والتَّدَبُّرُ التفكر فيه " [٢].

وبُستخلص من ذلك؛ أن معنى تدبر القرآن الكريم: التفكّر في آيات القرآن الكريم، والتأمل فيها، لإدراك ومعرفة معانيها ودلالاتها، التي نزلت من أجلها، والوقوف على أسرار إعجاز هذا الكتاب العزيز، وبهذا يحصل الإنسان على الهدف الذي جاءت آيات القرآن الكريم من أجله؛ وهو هدايته إلى الطريق القويم، والعمل بما جاء في القرآن الكريم من أحكام، وأخلاق، وسلوك، وتطبيقها في أمر الواقع، وفي جوانب الحياة المختلفة.

وقد ورد مصطلح التدبر في القرآن الكريم صراحة في أربعة مواضع هي:

{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً } (النساء: ٨٢)

{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (محمد: ٢٤)

{ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ } (المؤمنون: ٦٨)

{ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } (ص: ٢٩)

هـذا بالنسبة لمصطلح التدبر الذي ورد في القرآن الكريم صراحة، على أننا نجد بعض المصطلحات المرادفة، أو الدالة على المعنى الذي نحن بصدد الحديث حوله؛ وهو التدبر، وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في إيراد المعاني المرادفة لمصطلح التدبر على النحو الآتي:

---

٢ ـ ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧ م ، (مادة دبر) ج ٤ ، ص ٢٨٣ .

ـ توجيه الخطاب إلى أصحاب العقول، لحثهم على التدبر والتفكر؛ كما في قوله تعالى **{ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }** (الأنبياء: ١٠) وقوله **{ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون }** (النور: ٦١) ، وقوله { كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } (البقرة: ٢١٩ ، ٢٦٦) ، وقوله **{ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }** الحديد: (١٧)، وقوله **{ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }** (النور: ١)، وقوله **{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }** (البقرة: ١٧٩).

ـ تعليل الآيات وختمها بما يدعو إلى التدبر ،كما في قوله تعالى وقوله **{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ }** (آل عمران: (١٩)، وقوله **{ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى }** (طه: ٥٤)، وقوله **{ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ }** (النور: ٤٤) .

. ضرب الأمثال بقصد التدبر والاتعاظ، كما في قوله تعالى **{ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** (الحشر: ٢١) ، وقوله **{ وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }** (إبراهيم: ٢٥) ، وقوله **{ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }** (العنكبوت: ٤٣) .

هذا فيض من غيض مما أكد الله سبحانه وتعالى عليه، من تدبر ما حواه القرآن الكريم من دلالات ومعانٍ، وفيه دلالة على أن كل إنسان مطالب بأن يتفكر ويتدبّر القرآن الكريم، كل حسب استطاعته وقدراته، ولا مجال لمن يتعللّ بأنه ليس لديه القدرة على تدبّر معاني القرآن، بحجة أنه لا يملك اللغة والفهم الكافيين لاستظهار المعاني، وأنه يجد صعوبة في فهم القرآن الكريم، بجانب خوفه الخطأ في فهمه، ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها، أن القرآن الكريم، أنزله الله سبحانه **{ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ }** (الشعراء: ١٩٥)، فالله سبحانه وتعالى جعله ميسّراً للفهم **{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }** (القمر: ١٧) فهو كتاب هداية وتربية، ومنهج حياة، ومعظم آياته واضحات بيّنات، لا تحتاج إلى جهد جهيد في فهم معانيها ومدلولاتها؛ بل تحتاج إلى حضور قلب ووعي أثناء القراءة، قال الشاطبي: " فمن حيث كان القرآن معجزاً أفحم الفصحاء، وأعجز البلغاء، أن يأتوا بمثله، فذلك لا يخرجه عن كونه

عربياً جارياً على أساليب كلام العرب، ميسراً للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى " [3] . والحق أن القرآن معظمه واضح وبيّن، وظاهر لكل الناس، كما قال ابن عباس: " التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله " [4] ، ومعظم القرآن من القسمين الأولين [5] . يقول السيد محمد رشيد رضا في معرض تفسيره لقول الله تعالى **{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }** (النساء: ٨٢) " لسنا نعني بِبُطْلَانِ التَّقْلِيدِ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي أَبْوَابِ الْفِقْهِ كُلِّهَا فَيَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا نَعْنِي أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ ، وَيَهْتَدِيَ بِهِ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ " [6] .

٢ . الشخصية المسلمة :

الشخصية : مفهوم مستحدث، لا نكاد نجده متداولاً في تراثنا الثقافي بالمعنى المقصود في أيامنا هذه [7]. وهو مشتق من مادة (شخص)، والشخوص ضد الهبوط، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، ويُطلق على الإنسان وغيره، تراه من بعيد [8] . وعلى هذا فإن مفهوم الشخصية له علاقة بما يظهر من الإنسان [9].

وعلى هذا فقد عُرّفت الشخصية بتعريفات شتى، ولكنها تدور حول السمات والصفات التي تتمحور حولها الشخصية، وتتميّز بها عن غيرها، وتتكون من مقوّمات جسميّة، وعقلية، وروحيّة ونفسيّة، لتشكل في مضمونها نسيجاً متكاملاً .

---

٣ . الشاطبي ، إبراهيم بن موسى ، الموافقات ، تح : عبدالله دراز ، دار المعرفة . بيروت ، ج ٤ ، ص ١٤٤ .
٤ . الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، ج ١ ، ص ٧٥ .
٥ . يُنظر : اللاحم ، خالد بن عبد الكريم ، مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة ، مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م ، ص ٢٠ .
٦ . تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .
٧ ـ السيد ، عزمي طه ، وآخرون ، الثقافة الإسلامية : مفهومها ، مصادرها ، خصائصها ، مجالاتها ، دار المناهج . عمّان ، ط ٤ ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٤٧ .
٨ . يُنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شخص) ، ج ٧ ، ص ٥١ .
٩ . السيد وآخرون ، الثقافة الإسلامية ، ص ١٤٧ .

ومن خلال ذلك نستطيع صياغة مفهوم للشخصية المسلمة، وهو : أنها مجموعة الصفات العقلية والروحية والنفسية والجسمية وغيرها، تتآلف فيما بينها لتؤلف نسيجاً قوياً متكاملاً محكماً، يقوم على قاعدة الإيمان بالله تعالى [10] ، تنطلق من مبادئ الإسلام، وفي ضوء تصوراته، أي أنها تنطلق من الإسلام وإليه، بمعنى أن الشخصية المسلمة تتجلى في تصرفاتها وميولها وأفكارها معاني وقيم الإسلام .

المحور الأول: أثر تدبر القرآن الكريم على تقوية الصلة بالله تعالى والإيمان به

. صلة أهل القرآن بالله سبحانه

الإنسان الذي يعيش مع القرآن الكريم، تلاوة وتدبراً؛ يكون وثيق الصلة بالله، وليس أعظم من أن يكون الإنسان من أهل الله، بل من خاصته، الذين يشملهم بعنايته، ويكلأهم برعايته، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (**إن لله أهلين من الناس قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله و خاصته**) [11] . ويقرر ابن القيّم: أن أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، هم أهل العناية به، والاهتمام بقراءته وتدبره، وترتيله، والعمل به [12] .

. منهج القرآن الكريم في شد الانتباه إلى الإيمان بالله

اتخذ القرآن الكريم من الإشارات والتلميحات إلى دقائق الكون والحياة، منهجاً عظيم الأثر في تثبيت الإيمان وتدعيمه، فما من آية تدعو إلى عبادة الله وتوحيده، إلا وهي مقرونة في الأعم الأغلب بتوجيه الأذهان، إلى تأمل أثر القدرة الإلهية في إبداع الكون، وإتقان صنعه، وإجالة النظر والبصر في غرائب الخلق، وبدائع التكوين بها، يجعل المرء مشدود البصر والبصيرة للكون كله [13] . يقول سيد قطب " تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص

---

١٠ . يُنظر : المرجع السابق ، ص ١٤٧ . ١٤٨ .

١١ ـ روي الحديث بطرق مختلفة ، يُنظر : الحاكم ، محمد بن عبدالله ، المستدرك على الصحيحين ، تح : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، أخبار في فضائل القرآن ، حديث رقم (٢٠٤٦) ، ج ١ ، ص ٧٤٣ . وأحمد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٩٩ م ، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، حديث رقم (١٢٢٧٩) ج ١٩ ، ص ٢٩٦ ، وغيرهما .

١٢ . الخضير ، عبدالكريم ، شرح كتاب العلم لأبي خيثمة ، ج ١ ، ص ٣٥ .

١٣ . مارديني ، عبدالرحيم ، موسوعة الإعجاز العلمي ، دار آية . بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م ، ص ٢٠ .

الضمير، وينشئ حياة للروح، تنبض بها وتشرق وتستنير " [١٤] . نعم، إن أثر تدبر القرآن الكريم على الإيمان واضح جلي، وذلك من خلال ما حكاه التاريخ الإسلامي، من سبب دخول عدد من زعماء الشرك، الذين طالما وقفوا في وجه انتشار الإسلام، وحاربوا الإسلام والمسلمين، ولكنهم ما أن سمعوا آيات القرآن الكريم، وتدبروا ما ترمي إليه، وما تدعو إليه؛ إلا أن انقادوا إلى الدخول في الإسلام، وأذعنوا لأمر الله، فحسن إيمانهم، وأصبحوا من الشخصيات المسلمة المعتبرة، وأذكر هنا موقفين اثنين تتجلى فيهما هذه المعاني:

الموقف الأول: سبب إسلام عمر بن الخطاب :

قال ابن إسحاق : وَكَانَ إسْلَامُ عُمَرَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنّ أُخْتَه فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطّابِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ بَعْلُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا مِنْ عُمَرَ، وَكَانَ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ النّحّامُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمَ ، وَكَانَ أَيْضًا يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ فَرَقًا مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ خَبّابُ بْنُ الْأَرَتّ يَخْتَلِفُ إلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ، فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصّفَا ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَمّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصّدّيقُ وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ مِمّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ أُرِيدُ مُحَمّدًا هَذَا الصّابِئَ الّذِي فَرّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفّهَ أَحْلَامَهَا ، وَعَابَ دِينَهَا ، وَسَبّ آلِهَتَهَا ، فَأَقْتُلَهُ فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ وَاَللّهِ لَقَدْ غَرّتْك نَفْسُك مِنْ نَفْسِك يَا عُمَرُ أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيك تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْت مُحَمّدًا أَفَلَا تَرْجِعُ إلَى أَهْلِ بَيْتِك فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ ؟ قَالَ . وَأَيّ أَهْلِ بَيْتِي ؟ قَالَ خَتَنُك وَابْنُ عَمّك سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأُخْتُك فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ ، فَقَدْ وَاَللّهِ أَسْلَمَا ، وَتَابَعَا مُحَمّدًا عَلَى دِينِهِ فَعَلَيْك بِهِمَا ؛ قَالَ فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إلَى أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ وَعِنْدَهُمَا خَبّابُ بْنُ الْأَرَتّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا { **طه** } يُقْرِئُهُمَا إيّاهَا ، فَلَمّا سَمِعُوا حِسّ عُمَرَ تَغَيّبَ خَبّابٌ فِي مِخْدَعٍ لَهُمْ أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ الصّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمّا دَخَلَ قَالَ مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ الّتِي سَمِعْتُ ؟ قَالَا لَهُ مَا سَمِعْت شَيْئًا ؛ قَالَ بَلَى وَاَللّهِ لَقَدْ أُخْبِرْت أَنّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمّدًا عَلَى دِينِهِ وَبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ؛ فَقَامَتْ إلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ لِتَكُفّهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجّهَا ؛ فَلَمّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنّا

---

١٤ . قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق . بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٨٨ م ، ج ٦ ، ص ٣٢٩٧ .

بِاَللّهِ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَك . فَلَمّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنْ الدّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَارْعَوى ، وَقَالَ لِأُخْتِهِ أَعْطِينِي هَذِهِ الصّحِيفَةَ الّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنِفًا أَنْظُرْ مَا هَذَا الّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا ؛ فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ : إنّا نَخْشَاك عَلَيْهَا ؛ قَالَ لَا تَخَافِي . وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدّنّهَا إذَا قَرَأَهَا إلَيْهَا ؛ فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إسْلَامِهِ فَقَالَتْ لَهُ يَا أَخِي ، إنّكَ نَجِسٌ عَلَى شركك، وإنه لا يمسها إلا المطهرون، فقام عمر فاغتسل،فأعطته الصحيفة وفيها **{ طه }** فَقَرَأَهَا ؛ فَلَمّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا ، قَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ فَلَمّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبّابٌ خَرَجَ إلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا عُمَرُ وَاَللّهِ إنّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللّهُ قَدْ خَصّك بِدَعْوَةِ نَبِيّهُ فَإِنّي سَمِعْته أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ اللّهُمّ أَيّدْ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرِ بْنِ الْخَطّابِ فَاَللّهَ اللّهَ يَا عُمَرُ . فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ فَدُلّنِي يَا خَبّابُ عَلَى مُحَمّدٍ حَتّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ " [١٥] .

إن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان نتيجة استيلاء القرآن الكريم على قلبه، حين تدبره، وعرف حقيقته حق المعرفة، فتحوّل من محارب إلى مؤمن، أشرق قلبه بنور الهداية، واكتسى حلّة الإيمان، بسبب تدبّره لآيات القرآن العظيم .

الموقف الثاني : سبب إسلام الطفيل بن عمرو:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى مَا يَرَى مِنْ قَوْمِهِ يَبْذُلُ لَهُمْ النّصِيحَةَ، وَيَدْعُوهُمْ إلَى النّجَاةِ مِمّا هُمْ فِيهِ . وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ، حِينَ مَنَعَهُ اللّهُ مِنْهُمْ يُحَذّرُونَهُ النّاسَ وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْعَرَبِ. وَكَانَ الطّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدّوْسِيّ يُحَدّثُ أَنّهُ قَدِمَ مَكّةَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِهَا، فَمَشَى إلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، فَقَالُوا لَهُ يَا طُفَيْلُ، إنّك قَدِمْتَ بِلَادَنَا ، وَهَذَا الرّجُلُ الّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا ، وَقَدْ فَرّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتّتْ أَمْرَنَا ، وَإِنّمَا قَوْلُهُ كَالسّحْرِ يُفَرّقُ بَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ وَإِنّا نَخْشَى عَلَيْك وَعَلَى قَوْمِك مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا ، فَلَا تُكَلّمَنّهُ وَلَا تَسْمَعَنّ مِنْهُ شَيْئًا . قَالَ فَوَاَللّهِ مَا زَالُوا بِي حَتّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أُكَلّمَهُ حَتّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيّ حِينَ غَدَوْتُ إلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ . قَالَ فَغَدَوْت إلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَائِمٌ يُصَلّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ . قَالَ فَقُمْت مِنْهُ قَرِيبًا فَأَبَى اللّهُ إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ . قَالَ فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا قَالَ فَقُلْت فِي نَفْسِي : وَاَللّهِ إنّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيّ الْحَسَنُ مِنْ

---

١٥ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل ، ١٤١١ هـ ، ج ١ ، ص ٣٤٤ . ٣٤٦ .

الْقَبِيحِ فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرّجُلِ مَا يَقُولُ فَإِنْ كَانَ الّذِي يَأْتِي بِهْ حَسَنًا قَبِلْتُهُ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ. قَالَ فَمَكَثْت حَتّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى بَيْتِهِ فَاتّبَعْتُهُ حَتّى إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْت : يَا مُحَمّدُ إنّ قَوْمَك قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، لِلّذِي قَالُوا ، فَوَاَللّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوّفُونَنِي أَمْرَك حَتّى سَدَدْت أُذُنَيّ بِكُرْسُفٍ لِئَلّا أَسْمَعَ قَوْلَك ، ثُمّ أَبَى اللّهُ إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَك ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا ، فَاعْرِضْ عَلَيّ أَمْرَك . قَالَ فَعَرَضَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيّ الْقُرْآنَ فَلَا وَاَللّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ . قَالَ فَأَسْلَمْت وَشَهِدْت شَهَادَةَ الْحَقّ "[١٦] .

إن موقف الطفيل بن عمرو يمثل صورة الرجل الرشيد، الذي يأبى التبعية العمياء، وتقليد الأجداد والآباء، من غير إعمال العقل والفكر، حينما تدبّر آيات القرآن الكريم، عرف الحق، وانفتح أمامه نور الإيمان؛ فقاده عقله الصحيح، وتدبره للقرآن إلى الإيمان بالله تعالى.

. أثر القرآن على الشخصية المؤمنة

إن الذي يتلو القرآن الكريم حق التلاوة، بإعطاء الحروف حقها ومستحقها، ويتدبره بإخلاص؛ لا بد أنه ينبع من داخل وجدانه، وذلك نابع من إيمان حقيقي صافٍ بعظمة هذا الكتاب العزيز، وأنه مصدر هداية وفلاح، يقول الله تعالى **{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** (البقرة: ١٢١)، ولذلك امتدح الله تبارك وتعالى عباده المتقين، الذين اهتدوا بالقرآن العظيم، فاستقاموا في حياتهم، يقول الله تعالى **{ الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون }** (البقرة: ١ . ٤)

. تدبر القرآن الكريم له أثر على زيادة الإيمان

---

١٦ . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

عن جندب بن عبدالله قال: (**كنا مع النبي الله صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً**) [١٧] .

أثنى الله سبحانه على الذين يستمعون آيات الله تتلى، ويتأثرون بها، وهذا في الحقيقة ناتج عن إنصاتٍ واعٍ، وحضور قلبٍ خاشعٍ، استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله { **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** } (الأعراف: (٢٠٤)، وهذا الخشوع والإنصات والتدبر لا بد أن يكون له أثر بالغ في نفس المؤمن، فيزيد إيمانه، وتقوى أركانه، فيكل أمره إلى الله سبحانه، ويكفيه أن الله حسبه { **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** } (الطلاق: ٣)، يقول الله تعالى { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** } (الأنفال: ٢) . يقول السعدي " وجعل الله مفتاح الإيمان واليقين التفكر في آيات الله المتلوة ، وآياته المشهودة ، والمقابلة بين الحق والباطل بحسن فهم وقوة بصيرة ، شاهده قوله تعالى { **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** } [ص : ٢٩] [١٨] .

ويؤكد الله سبحانه وتعالى أن أصحاب الإيمان هم الذين يستفيدون من تدبر القرآن الكريم؛ وما ذلك إلا لأنهم متلهفون إلى ما يرفع درجاتهم في الدنيا والآخرة، ولذلك يسارعون إلى تلقي هذا القرآن الكريم فور نزوله، يقول الحق تبارك وتعالى { **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** } (التوبة: ١٢٤)

إن رسولنا الكريم هو المثل الأعلى في تدبر القرآن الكريم؛ سواء في قراءته بنفسه، أو بسماعه من غيرة، قدوة للمسلمين، فقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي القرآن، قلت يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم. فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية { **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً** } (النساء: ٤١) قال: حسبك الآن. فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان) . قال بن حجر: قال ابن بطّال " يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره؛ ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي

---

١٧ . ابن ماجة ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، موقع الإسلام ، http://www.al-islam.com ، باب في الإيمان ، حديث رقم ٦٠ ، ج ١ ، ص ٧٠ .

١٨ ـ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

يتدبره ويتفهمه؛ وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أحلى وأنشط لذلك من القارئ، لاشتغاله بالقراءة وأحكامها [19] .

. الإيمان بالله تعالى يجعل الشخصية المسلمة آمنة مطمئنة

للقرآن الكريم أثر على النفس البشرية؛ فهو يبعث الأمن والطمأنينة في النفس، ويبدد الخوف والقلق، ويغمر الإنسان بالشعور بالسعادة، ويحميه من الإصابة بالأمراض النفسية ، فالإنسان المؤمن الذي يتدبر القرآن الكريم يسير في طريق الله آمناً مطمئناً؛ لأن كتاب الله يمده بالأمل والرجاء، في عون الله ورعايته وحمايته، فهو يشعر على الدوام بأن الله عز وجل معه في كل لحظة وحين، فعندما يتدبر قول الله تعالى **{ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }** (البقرة: ٢١٦) ، يدرك أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يصلح الإنسان، فهو يقدر له الخير، والإنسان بعلمه القاصر لا يدرك فوق طاقة العقل، أو ما غاب عنه، ولذا؛ فالرضا بما يحل بالإنسان؛ من خير أو شر يجعل الإنسان إيجابياً، متفائلاً، فيغدوا منشرح الصدر، واثقاً بالله ، الذي خلقه، وقدّر له سبيله في هذه الحية **{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }** (الملك: ١٤) ، فالله العالم بما يصلح الإنسان، وقد يبتليه بالشر؛ ليربي فيه ملكة القوة، والإرادة، والتحمل، والصبر، والأمل، وعدم اليأس، كما يختبره بالخير؛ ليربي فيه صفة الشكر والحمد، وكلا الأمرين فيهما مصلحة للإنسان؛ وهذا ما يؤكده حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**) [20] .

---

١٩ . ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباريء بشرح صحيح البخاري ، دار الفكر . بيروت ، ١٩٩٦ م ، ج ١٠ ، ص ١١٥ .

٢٠ ـ مسلم ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، موقع الإسلام ، http://www.al-islam.com ، باب : المؤمن أمره كله خير ، رقم الحديث (٥٣١٨) ، ج ١٤ ، ص ٢٨٠ .

المحور الثاني : أثر تدبر القرآن الكريم على السلوك والمراقبة الدائمة لله والخشية منه

تدبر القرآن الكريم له أثر بالغ في الشخصية المسلمة؛ حيث يجعلها دائمة المراقبة لله سبحانه وتعالى، والخشية من عقابه، مما ينعكس ذلك على سلوك الفرد في حركاته وسكناته، وكل تصرّفاته وتعاملاته مع ما يحيط به، يقول النووي " ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع، والتدبر، والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب ... وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة، أو معظم ليلة، يتدبرها عند القراءة " [٢١]. وإذا كان الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه، أنه لو أنزل هذا القرآن الكريم على جماد لا يفقه شيئاً لخشع من خشية الله؛ فكيف بالإنسان الذي اختصه الله بالعقل، وكرّمه بالفهم والإدراك، وأمره بالتدبر والتفكّر، يقول الله تعالى **{ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** (الحشر: ٢١) ، قال ابن كثير: " يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ، ومبيناً علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد الحق، والوعيد الأكيد : **{ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ }**. أي : فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته؛ لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه؛ لخشع وتصدع من خشية الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم، وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره ، وتدبرتم كتابه؛ ولهذا قال تعالى: **{ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}**[٢٢].

إن الذي يزن الأمور بميزان العقل، ويتدبر آيات الله المتلوّة والمنظورة؛ يستجيب لنداء الله سبحانه **{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }** (ق: ٣٧) . والذي يستجيب لنداء الله، وهو نداء الفطرة أيضاً، هو المنتفع بآيات الله **{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ }** (الزمر: ٢٣)، قال ابن كثير: " هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، **{ ثُمَّ**

---

٢١ ـ النووي ، يحي بن شرف ، الأذكار من كلام سيد الأبرار ، مكتبة نزار مصطفى الباز . مكة المكرمة . الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، مج ١ ، ص ١٢٣ .

٢٢ . ابن كثير ، إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } لما يرجون ويُؤمِّلون من رحمته ولطفه " [٢٣] . صلى عمر ذات يوم بالناس، ولما وصل إلى قوله تعالى **{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ }** (يوسف: ٨٦) فإذا به يبكي، حتى سُمع نشيجه من وراء الصفوف، وكان قبل سنوات يدفن ابنته حية في الرمال، أما الآن فها هو يبكي تأثراً بالقرآن، إنها يقظة الضمير وحياة القلب . ذكر ابن كثير في سياق هجرة عمر بن الخطاب مع عياش بن ربيعة وهشام بن العاص رضي الله عنهم أن الكفار حبسوا هشاماً عن الهجرة، واستطاع أبوجهل أن يرد عياشاً إلى مكة بعد حيلة ماكرة وخطة خادعة، وقد كان شائعاً بين المسلمين أن الله لا يقبل ممن افتتن توبة، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وأنزل الله **{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }** (الزمر: ٥٣ ـ ٥٥). قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى؛ أصعد بها وأصوب، ولا أفهمها؛ حتى قلت: اللهم فهمنيها؛ فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة) [٢٤] .

عتاب من الله للمؤمنين الذين تعرض قلوبهم عن تدبر القرآن الكريم

قال تعالى : **{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }** (الحديد: ١٦ ـ ١٧) . قال ابن كثير: يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي : تلين عند الذكر والموعظة، وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له، وتسمع له، وتطيعه. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (**ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين**) . وقوله تعالى **{ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ }** نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد؛ بدلوا كتاب الله الذي بين أيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء

---

٢٣ . المرجع السابق ، ص ٤٥ .

٢٤ . ابن كثير ، إسماعيل ، البداية والنهاية، دار المعرفة . بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٨ م ، ج ٣ ، ص ١٨٦.

ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة، والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله؛ فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد. وقوله تعالى: **{ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }** فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال " [٢٥] .

٢٥ . ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٦٣ . ٣٦٤ بتصرف .

المحور الثالث : أثر تدبر القرآن الكريم على الاستقلالية والاعتزاز بالمبادئ والقيم، والعمل بما جاء به القرآن الكريم من تشريعات، وتطبيقها في الحياة

إن استمداد الشخصية المسلمة لأخلاقها، ومقوّمات سلوكها، يجب أن تأخذها من هذا الكتاب العزيز، الذي جاء لهدايتها إلى أقوم السلوكيات، وأنبل الأخلاق، وجميل الصفات **{ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً }** (الإسراء: ٩)، سأل سعد بن هشام بن عامر السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: ألست تقرأ القرآن ؟ قال: بلى! قالت: فإن خلق رسول نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن) .

إن تدبر القرآن الكريم ناتج عن الإيمان به، وبما جاء به من تشريعات، وهذا بلا شك باعث على العمل بمقتضى ما ورد به، يقول الله تعالى **{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** (البقرة: ١٢١) أي: يتبعونه حق اتباعه [٢٦]، قال بن مسعود رضي الله عنه (والذي نفسي بيده؛ إن حق تلاوته: أن يحل حلاله ويحرّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله) [٢٧]، وعن عكرمة قال: (يتبعونه حق اتباعه، باتباع الأمر والنهي؛ فيحلون حلاله، ويحرّمون حرامه، ويعملون بما تضمنه) [٢٨] .

عن عطاء قال: (دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال ابن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فسكتت ثم قالت لما كان ليلة من الليالي قال "يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي" قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته: قالت ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر. قال: (أفلا أكون عبدا شكورا ، لقد نزلت

٢٦ . الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج ٢ ، ص ٥٦٦ .
٢٧ . المرجع السابق ، ص ٥٦٧ .
٢٨ . القرطبي ، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر ، ١٩٩٣ م ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

علي الليلة آية؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** } الآية كلها (آل عمران: ١٩٠) [٢٩] .

وهذا هو المنهج الذي سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تربوا في كنف الوحي، ووعوه بقلوبهم، ورعوه حق الرعاية، فكانوا من فرط حرصهم على تدبر القرآن الكريم، وتطبيق أحكامه؛ أنهم كانوا لا يجاوزون العشر آيات حتى يحسنوا تلاوتها، ويفهمون معانيها، ويفقهون مدلولاتها، ويطبقون أحكامها، عن ابن مسعود، قال: (كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ) [٣٠]، وعن أبي عبد الرحمن، قال: (حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا)[٣١] .

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الذين يتلون القرآن الكريم، ويعملون ما أمرهم الله به، وبيّن ثوابه الجزيل الذي ينتظرهم { **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** } (فاطر: ٢٩ . ٣٠) فهذه هي ثمرة التلاوة الحقة، التي يصاحبها التدبر ؛ وهي والإيمان بهذا الكتاب العزيز، المؤدي إلى العمل بما جاء فيه من أحكام وتشريعات وهدى.

يقدم القرآن الكريم للناس الدلائل والعبر، ويبيّن لهم طريق الهدى، فمن سلك طريق العمل الصالح فقد فاز بالأجر العظيم، والثواب الجزيل، ومن أعرض فسينال جزاءه يوم الحساب، قال تعالى { **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً . وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** } (الإسراء: ٩) . قال مطرف بن عبدالله: (إني لأستلقي من الليل على فراشي، فأتدبر القرآن، وأعرض عملي على عمل أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة. { **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** } (الذاريات: ١٧)، { **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** } (الزمر: ٩)، فلا أراني فيهم، فأعرض نفسي على هذه

---

٢٩ ـ ابن حبان ، محمد ، صحيح ابن حبان ، تح : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٣ م ، باب : ذكر البيان بأن المرء إذا تخلى عليه البكاء ، رقم الحديث (٦٢٠) ، ج ٢ ، ٣٨٧ .
٣٠ . الطبري ، تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٨٠ ، ٨٩ .
٣١ . الطبري ، تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٨٠ .

الآية { **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ** } (المدثر: ٤٢)، فأرى القوم مكذبين، وأمُرُّ بهذه الآية { **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } (التوبة: ١٠٢) ، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم) [٣٢] .

إن اعتزاز المسلمين الأوائل، وعملهم بالمبادئ والقيم الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم، بعد أن تدبروها، ووعوها، ومارسوها في مختلف شؤون حياتهم؛ هي التي ارتقت بهم في مرتبة القيادة العالمية، يقول الزرقاني " نجح سلفنا الصالح بهذا القرآن نجاحاً مدهشاً، مع قلة عددهم، وخشونة عيشهم، وندرة المصاحف بأيديهم، وقلة الحفاظ إذا ما قورنوا بأعدادهم اليوم، والسرّ في ذلك؛ أنهم توفَّروا على دراسة القرآن، واستخراج كنوز هداياه، أما غالب المسلمين اليوم فاكتفوا بألفاظ يرددونها، وأنغام يلحّنونها، وبمصاحف يحملونها، ونسوا أو تناسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبر آياته، وتفهمها، والتأدب بها " [٣٣] .

فالمتصفح لتاريخ السلف الصالح الذين تلقوا القرآن الكريم من منبعه الصافي، غضاً طرياً، وكان يشغل أوقاتهم آناء الليل وأطراف النهار، يجد أنه هو مصدر عزتهم وقوتهم، فقد استطاعوا به تحقيق الأماني الكبيرة، إنهم كانوا يدركون هذه الحقيقة؛ لذلك دأبوا عليه تلاوة وعملاً ودراسة، مؤمنين به حق الإيمان، متفاعلين معه؛ في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه وأمثاله، وانعكس ذلك على معاملاتهم، فكان كل واحد منهم صورة حية لهداية القرآن الكريم، قدوتهم في ذلك رسولهم الأعظم . صلوات الله وسلامه عليه . الذي وصفته السيدة عائشة بقولها (كان خلقه القرآن)، وبهذا استطاع المسلمون سيادة العالم؛ ففتحوا الأمصار، ودانت لهم الأمم والشعوب، مما دعا أعداءهم إلى إكبارهم، يتناقلون صفاتهم بعبارات الثناء والمديح، فعندما هزموا جيوش الروم حين زحفوا على أرض الشام اجتمع هرقل عظيم الروم بقيادة جيشه لدراسة أسباب الهزيمة، فوجد القادة متأثرين تأثراً بليغاً بما وجدوه في جنود المسلمين وقادتهم؛ من صفات الرجولة والشهامة والورع والتقوى، وتأثير القرآن عليهم، فيقول أحدهم في وصفهم

---

٣٢ ـ البيهقي ، أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان، تح : محمد السعيد ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، حديث رقم ، (٧١٦٦) ج ٥ ، ص ٤٢٣ ، ورقم (٦٧٦٦) ج ٩ ، ص ٣٥٦ . والأصفهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

٣٣ . الزرقاني ، محمد عبدالعظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر . بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، ج ٢ ، ص ٧ ، ببعض تصرّف .

(أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدّثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر) [٣٤] .

وهكذا سلك هذا المسلك من استقام على طريقتهم، وعاش على تلك المبادئ، وقدّموا نفوسهم رخيصة في سبيلها، فهذا القائد أبو حمزة الشاري من على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافع عن أصحابه بكلمة خلدها التاريخ، يقول فيها (... لقد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن؛ إذا مر بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية فيه ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه) [٣٥] . وهكذا الذين مشوا على طريقتهم، وقد وصفهم الشاعر الكبير العلامة أبو مسلم إذ يقول:

تراهم في ضمير الليل صيّرهم مثل الخيالات تسبيح وقرآن

ويقول:

أكبوا على القرآن شرباً لمائه فأصدرهم والكل ريّان هائم

---

٣٤ . الخليلي ، أحمد بن حمد ، جواهر التفسير ، مكتبة الاستقامة . مسقط ، ط ١ ، ١٩٨٤ م ، ج ١ ، ص ٧ .

٣٥ . المرجع السابق ، ص ٨ .

الخاتمة

القرآن الكريم دستور حياة، ومنهج شامل كامل؛ فهو مصدر القيم والسلوكيات، والنظم والتشريعات، وأساس التعامل والمعاملات، أودع الله فيه كل ما يحتاجه الإنسان في حياته، وبعد مماته، أنزله الله سبحانه ليهدي البشرية إلى سلوك طرائق الخير، واجتناب مسالك الشر والفساد، وأمرهم بالاهتمام به، وتعبّدهم بتلاوته، وتدبّر معانيه، وفهم مقاصده، وتطبيقها في واقع الحياة، ليسود الأمن والأمان على هذه الأرض، التي استخلف الله فيها الإنسان ليعمرها بالخير والصلاح .

إن تدبر القرآن الكريم يعمل على صقل الشخصية المسلمة في سلوكها وتفكيرها واعتقادها وإيمانها، تعيش في إطار منهج الله القويم، وهديه المستقيم، تعيش الشخصية المسلمة نتيجة وعي القرآن الكريم، وتدبر مقاصده موصولة بالله تعالى، ولذا تستقيم أمورها؛ فتحيا مطمئنة، راضية مرضية .

الشخصية المسلمة التي تتدبر القرآن الكريم؛ هي شخصية سوية في صفاتها وسلوكها، إيجابية في تفكيرها، مستقيمة في حركاتها وسكناتها، ينعكس ذلك كله في واقع الحياة الإنسانية، فلو أن كل شخصية تحلت بهذه الصفات لأصبحت المجتمعات مجتمعات مثالية، يسودها الأمن والاطمئنان، والرحمة والألفة والمودة، وتتحقق بذلك الغاية من وجود البشرية في هذه الأرض.

وأخيراً وبعد هذه الرؤى التي خرجت بها هذه الدراسة نوصي بما يأتي :

. الاهتمام بالدراسات المتعلقة بتدبر القرآن الكريم على المستوى الأهلي والحكومي.

. تنشئة الناشئة على حب القرآن الكريم وتدبر معانيه .

. تكثيف الندوات والمحاضرات في هذا المجال .

. الإكثار من عقد دورات متخصصة في تدبر القرآن الكريم .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المراجع

. الأصفهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ .

. البيهقي ، أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان، تح : محمد السعيد ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .

. ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧ م .

ــ الترمذي ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، موقع وزارة الأوقاف المصرية http://www.islamic-council.com .

. الشاطبي ، إبراهيم بن موسى ، الموافقات ، تح : عبدالله دراز ، دار المعرفة . بيروت .

. الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

ـ اللاحم ، خالد بن عبد الكريم ، مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة ، مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م .

. رضا ، السيد محمد رشيد ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م .

. السيد ، عزمي طه ، وآخرون ، الثقافة الإسلامية : مفهومها ، مصادرها ، خصائصها ، مجالاتها ، دار المناهج . عمّان ، ط ٤ ، ٢٠٠٢ م .

. الحاكم ، محمد بن عبدالله ، المستدرك على الصحيحين ، تح : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

ـ أحمد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٩٩ م.

. الخضير ، عبدالكريم ، شرح كتاب العلم لأبي خيثمة .

. مارديني ، عبدالرحيم ، موسوعة الإعجاز العلمي ، دار آية . بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

. قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق . بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٨٨ م .

. ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل ، ١٤١١ هـ .

ــ ابن ماجة ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، موقع الإسلام ، http://www.al-islam.com .

ـ السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .

. ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، فتح البارئ بشرح صحيح البخاري ، دار الفكر . بيروت ، ١٩٩٦ م .

. مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، موقع الإسلام، http://www.al-islam.com .
. النووي ، يحي بن شرف ، الأذكار من كلام سيد الأبرار ، مكتبة نزار مصطفى الباز . مكة المكرمة . الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
. ابن كثير ، إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
. ابن كثير ، إسماعيل ، البداية والنهاية ، دار المعرفة . بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٨ م .
. القرطبي ، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر ، ١٩٩٣ .
. ابن حبان ، محمد ، صحيح ابن حبان ، تح : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٣.
. الزرقاني ، محمد عبدالعظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر . بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
. الخليلي ، أحمد بن حمد ، جواهر التفسير ، مكتبة الاستقامة . مسقط ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .